أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري
دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج

د. مهتاري فائزة
جامعة تلمسان

ضريح سيدي أبي مدين

حياته: يعتبر أبو مدين شعيب من أعيان مشائخ المغرب، وشعيب ابن الحسين الأنصاري الأندلسي المعروف باسم أبي مدين كما كان يسميه سكان الجزائر، كان من أصل عربي كما يبينه اسمه الأنصاري. ولد بإشبيلية بالأندلس حوالي سنة 520هـ-1126م في قرية تدعى قطيانة، وكان ذلك في أواخر عهد المرابطين وبدء عهد الموحدين.

وقد قرأ على يد شيخه ابن حرزهم معجم التقاليد للترميذي، أما تحت متابعة الشيخ الحسن ابن غالب فقرأ المذهب المالكي. وقد كان الحسن ابن غالب من كبار رواة الحديث بحاضرة فاس في ذلك العهد.

واشتد به المرض وعرف أصحابه انه لن يسلم فلما وصل وادي يسر، نزلوا به هناك فكان آخر كلامه "الله حق" وتوفي رحمه الله تعالى سنة 594هـ.

أ- الوصف المعماري و الزخرفي للضريح:

يتكون ضريح سيدي أبي مدين من جزئين جليين: الضريح الذي يعد حرما للمعبد أين يوجد جثمان الولي، و من فناء أو ساحة أمامية (أنظر الشكل) ندخل إلى الضريح بواسطة باب صغير معقود بعقد حذوي، يبلغ طوله 1.88م وعرضه 86سم يحيط به إطار من البلاطات الخزفية المتعددة الأشكال والألوان، أين تحتل الزخرفة النباتية حيزا أكبر من الزخرفة الهندسية، وهي تتمثل في شبكات من المراوح النخيلية، والزهرات الصغيرة المتعددة الألوان، ويغلب على البلاطات الخزفية اللونين الأصفر، الأخضر الفاتح، والأخضر الداكن، والأزرق ونلاحظ اختلاف أنواع البلاطات و ذلك راجع للترميمات العديدة و العشوائية في الكثير من الأحيان (أنظر اللوحة).

يكتنف المدخل عمودان خشبيان، بدنهما دو قنوات تعلوهما تيجان كرنثية ويحمل هذان العمودان عقد حذوي. ترتكز الظلة التي تعلو المدخل على أوتاد خشبية، أما سقفها من الداخل فمقسم إلى ثلاث مربعات: المربعان الموجودان على اليمين و على اليسار مماثلان يحملان زخرفة هندسية، في كل زاويا إطار المربع و يظهران بأرضية زرقاء داكنة تنتشر فيها زخارف نباتية متشابكة، يتنوع لونها بين الأخضر الفاتح، و الأزرق الداكن، و هذه الزخارف أغلبها عبارة عن مراوح نخيلية، وسيقان رقيقة متفرعة منها. تحتل مركز كل مربع نجمة ذات ثمانية رؤوس، و هي ناجمة عن تقاطع مربعين تحتل مركزها زهرة ذات مركز دائري تظهر باللون الأبيض. يتجلى جمال هذه النجمية في الألوان التي تزينها إذ أنها مرسومة على أرضية خضراء شفافة، يحيط برؤوسها ثمانية الأزرق الداكن ثم الوردي، أما الزهرة التي تحتل مركزها فيحيط بجوانبها اللون البرتقالي، ويظهر وسطها بلون بنفسجي منغنيزي .

يتوسط هذان المربعان مربع أصغر حجما، و تزينه سلسلة من النجميات الصغيرة ذات ثمانية رؤوس ذات لون برتقالي، يميل إلى الأحمر تحيط بها من الجانبين زخارف نباتية تتنوع ألوانها من الأخضر الوردي، و هي مرسومة على قاعدة برتقالية.(أنظر اللوحة رقم 12).

أسفل الشرعة مباشرة نلاحظ وجود زخرفة عبارة عن بائكة، ذات عقود مفصصة ترتكز على أعمدة صغيرة. يعلو الظلة من الخارج سقف هرمي الشكل، مكسو بالقرميد الأخضر.

ننزل إلى الضريح بواسطة درج يتكون من 9درجات، (في حين أشار Marçais إلى وجود 8 درجات)، لنجد صحنا ذو مخطط قريب من المربع يبلغ طوله 5.40م،وهو يعد بمثابة قاعة إنتظار أين يرتاح الزوار قبل الدخول إلى الضريح، وحسب ما تحكيه الجدات فقد شهد هذا الصحن العديد من مجالس الذكر و الحديث، للنسوة خاصة، يحيط بالصحن من الجهات الأربعة رواق يرتكز على أعمدة من المرمر، تعلوها أو تتوجها تيجان من المرمر .

تعلو هذه الأعمدة عقود نصف دائرية،هذه الأعمدة وتيجانها يظهر على حسب الشريط الكتابي المنقوش على إحدى تيجانها، أنها استقدمت من قصر النصر الذي بناه **أبو الحسن** بالمنصورة. هذه التيجان مزينة حسب ثلاث نماذج

مختلفة، فيهما جميعا نجد قطعة علوية مربعة محلات ببروز ضعيف، ومكسوة في قاعدتها بمراوح نخيلية مقسمة، تربطها إلى أزواج (اثنان، اثنان) رابطة متوسطة وقطعة أسطوانية أين تدور لفائف في القمة، اثنان من بينهما تحملان شريطين كتابيين، ومنحنيات هذه الأشرطة متمددة، ولا تستمر على مختلف الواجهات من أجل تشكيل دائرة واحدة، ثلاثة من هذه التيجان تحمل لفائف حلزونية "تاج الزاوية الجنوبية- الشرقية تصغير للتيجان الكبيرة لمسجد المنصورة".

ونشير إلى أن التاجان الموجودان بصحن ضريح صحن سيدي أبي مدين، يعودان إلى فترة زمنية بعيدة لكون عقود الرواق تؤكد ببصماتها إلى قدم البناية. وتجب الإشارة إلى وجود قبة خشبية تعلو الصحن الذي هو في أصله مكشوف، ولسنا ندري إن كانت هذه القبة موجودة من قبل لأننا لم نجد في المصادر والمراجع ما يشير إلى وجودها.

في الجهة الجنوبية الغربية للصحن يوجد البئر "والبئر حرزة من المرمر" ساء حالها بسبب احتكاك السلسلة. و لن نغادر الصحن حتى نشير إلى وجود شواهد قبور، من الرخام عليها زخارف هندسية، عبارة عن معينات وهذه الشواهد تخبأ الأرضية للوهلة الأولى.

تحمل جدران الصحن في الأسفل تكسية من البلاطات الخزفية، وهي متكونة من مربعات يبلغ طول ضلعها 0.13م البعض منها مزينة باللونين الأزرق على الأبيض المائي، أو الوردي،وتحمل هذه البلاطات أشكالا عبارة عن دائرة مركزية تحتل مركزها ثمان زهريات مقفلة و تحيط بها أشكال هندسية، مختلفة كما نجد شريطا دائريا أو دائرة تنطلق منها تفريعات نباتية، وهي عبارة عن وريقة منبسطة تتناوب مع زهريتين مقفلتين ، في حين نجد بلاطة أخرى تحمل زخارف هندسية، صفراء، و خضراء بالتناوب، تنطلق من المركز زخارف نباتية ذات اللون الأبيض مرسومة على قاعدة لونها بنفسجي منغنيزي. كما نجد بلاطات خزفية أخرى متعددة الألوان كتلك التي تظهر باللون الأزرق، والأصفر، فاللون الأزرق التركوازي يتدرج من الفاتح إلى الداكن ويتميز اللون الأصفر ببريق ولمعان نادر. ويتكون التصميم العام للبلاطة من عنصر مركزي عبارة عن مربع متداخل غير منتظم، تشع منه أوراق

خماسية الفصوص، وأوراق على هيئة أوراق الأكانتس مرسومة بأسلوب محور، وحفظت هذه العناصر باللون الأبيض على أرضية كوبالتية رقيقة كما نلاحظ أن الألوان المستعملة في البلاطات الخزفية تعد من مميزات البلاطات الخزفية المصنوعة بإيطاليا وأخيرا نجد بلاطات خزفية تحمل شكل الزهرة المتفتحة، التي تحمل أربعة زهيرات صغيرة.

أما البلاط الأرضي للصحن، فيتكون من عناصر متباينة معظمها حديثة العهد. بعض الأنواع بسيطة وعادية، ففي الزاوية الشمالية الشرقية نجد مربعات صغيرة، يترواح طول أضلاعها بين 6 إلى 10 سم ذات البروز الخفيف في حالة رديئة بسبب الاحتكاك المتواصل، مغطاة بطلاء أخضر الشفاف، أو أخضر داكن، يبدوا لنا أنه من الصعب تحديد أصلها الدقيق، ويدل أسلوب الزخرفة النباتية المستخدم على انتمائها إلى الأسلوب التركي... ونجد مثيلاتها في بعض أجزاء صحن سيدي أبي مدين، ومسجد سيدي أبي الحسن ،(المتحف) وهكذا نلاحظ أن الضريح يعد وعاء صبت فيه عدة تيارات واتجاهات فنية، من زيانية، مرينية إلى تركية.

وغير بعيد عن الدعامة الشمالية الغربية، شضية من بلاطة مربعة كبيرة محلات ومبرنقة بأسلوب غير واضح ساءت حالتها، أما فيما يخص الزخرفة الهندسية ذات الأشرطة البيضاء فتبدوا محددة لمضلعات ملونة بشتى الألوان، ومزينة بزخارف (بعض المربعات بالأبيض والأسود تشبه مربع الشطرنج).

بعض الشبكات تركت بدون تحلية زخرفية، والهدف من ذلك عدم اختلاط الزخارف. ولعل النقص الظاهر في التنفيذ الذي يأتي خاصة من عدم تساوي الإنصهارية، في الزخارف المستعمل يظهر لنا هذه القطعة غاية في الأهمية وهذه القطعة، ليست هي المثال الوحيد الذي يمكن أن نلاحظ فيه هذا التوجه نحو تعويض الفسيفساء الخزفية للعصور المزدهرة، بالمربع المتعدد الألوان ذو الاستعمال البسيط.

تجب الإشارة إلى أن ضريح سيدي أبي مدين، بتعرضه للحريق قد تأثر بالغ الأثر و قد أعيد ترميمه بالزخارف والألوان، المزودان ببلاطات من الفسيفساء الخزفية، تحت أوامر محمد باي وهران، سنة 1793. وهذا التاريخ يناضر عام ثمانية ومايتين وألف.

القبة التي تغطي هذه الغرفة قبة نصف كروية، قطرها 30, 4م وترتكز على 12 لوحة مزينة بأربعة وعشرين عقدا نصف دائري، منها تنطلق سلسلة تشبيكات هندسية تنتهي بنجمة ذات أربعة وعشرين رأسا . والنجمة ذات الأربع و العشرين رأسا، التي تحتل المركز أو الوسط، هي ميزة من مميزات الزخرفة في الحقبة المرينية، التفريعات النباتية التي تكون زخرفة القبة تحدد أربع وعشرين أنصاف مغازل(تتسع ثم تضيق)، محلات بزخرفة نباتية ترتكز على أربعا وعشرين عقدا حذويا مزين بغصينات ومراوح نخلية.

وقد استعملت في زخرفة هذه القبة ألوان متعددة، فهي مزينة بمضلعات مطلية (مدهونة) بألوان مختلفة: المضلعات الكبيرة مزينة بنماذج ذات اللون الوردي، والأبيض والأحمر، والأصفر، والبرتقالي، والأزرق، والأخضر، زخارف زجاجية البعض منها، زرقاء وخضراء فاتحة اللون وحمراء يظهر أنها ملونة في كتلها، أما الأخرى فلونها أقل ضياء، برتقالي وأحمر داكن، استعملا في النوافذ .

ضريح سيدي ابراهيم

حياته: الشيخ العالم الصالح الولي الزاهد أبو إسحاق أحد شيوخ الإمام بن مرزوق الحفيد ... قال بن صعد التلمساني في النجم الثاقب كان هذا الولي أحد من أوتي الولاية صبيا وحل من رئاسة العلم والزهد مكانا عليا.

وقد نشأ هذا العارف بالله محبا للعلم، متعطشا للإستزادة منه. أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، ولد وترعرع فيها، فلما كبر طلب العلم فأخذ بفاس عن جماعة من العلماء كالشيخ الإمام حامل راية الفقهاء في وقته "موسى العبدوسي" والشيخ الإمام الشهير "محمد الآبلي" وقرأ كثيرا على الشيخ الإمام شريف العلماء أبي عبد الله الشريف التلمساني ثم انتقل بعد وفاته لسكنى المدرسة التاشفينية، فقرأ على الشيخ العلامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان سيدي سعيد العقباني.

توفي عام 805 هـ وحضر جنازته السلطان الواثق ماشيا على قدميه ... ودفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان.

يقع **الضريح** على تلة أو ربوة على بعد أمتار غرب المسجد، في الناحية الشمالية ويتكون من صحن وغرفة تعلوها قبة (أنظر الشكل)، ندخل إليه

بواسطة باب معقود بعقد حذوي بسيط يعلوه إطار للباب أما الباب الخشبي فبسيط يبلغ عرضه 1.67م أتت عليه عوامل الزمان فأصبح هشّا، يؤدي هذا الباب إلى الصحن ثم من الصحن إلى قاعة الضريح (انظر الوحة).

الصحن مربع الشكل طول ضلعه 5.65م، و تحيط بالصحن أروقة من الجوانب الأربعة ترتكز على أعمدة قصيرة بواسطة عقود حذوية، يبلغ إرتفاع الأعمدة 1.15م وقطرها 0.55 سم و حسب ما يبدو فإن هذه الأعمدة البسيطة الأسطوانية من المرمر قد جلبت من آثار المنصورة قاعة الضريح قريبة من المربع طولها 8.30 وعرضها 8.10 ،يقابلك وللوهلة الأولى ضريح الشيخ سيدي إبراهيم المصمودي، وضريحه يتوسط القاعة وهو عبارة عن قبر بسيط يحتوي على شاهدي قبر يحملان كتابة لم نستطع قراءتها و ذلك راجع لتأثير عامل الرطوبة عليها.

في وسط الجدار المقابل للضريح حنية على هيئة محراب، يبلغ إرتفاعها 3.18م وعرضها 2.42م أما عمقها ف60 سم أما الحنية الجدارية الثانية الموجودة على يسار المدخل فيبلغ عمقها 57 سم ، في حين يبلغ عمق الحنية الجدارية التي تقع على يمين المدخل 87 سم .و يحيط بالحنيات شريط كتابي يحمل نصا قرآنيا.

كما نجد في جدار من الجدران الثلاثة نافذتين صغيرتين، ذات عقد نصف دائري عبارة عن شمسيات محلات بزخارف هندسية، متنوعة تقوم بإضاءة وتهوية الضريح، كما يلاحظ وجود نافذة مفتوحة في الحنية اليمنى من الضريح ولكنها لم تكن موجودة وأغلب الظن أنها فتحت بطريقة عشوائية في السنين الأخيرة .يتم الانتقال من المربع إلى المثمن ثم إلى الدائرة بواسطة حنايا ركنية، على شكل نصف قبو متقاطع، ويتخلف عن تعارض ضلوعها جوفات مثلثة، ومع أن قبة ضريح سيدي إبراهيم، تعتبر النموذج الوحيد الذي وصلنا من الفن بعد إعادة استقرار الزيانيين من جديد بعد الرحيل النهائي للمرينيين، إلا أنها أصبحت اليوم تخلو من أي أثر لتكتسيها الجصية الجميلة، فلقد تأثرت بفعل الرطوبة بالغ الأثر.

ضريح الشيخ سيدي محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب (الإمام السنوسي):

1.حياته: ولد الشيخ السنوسي بين سنتي 832 و 838 الهجريتين ، اشتهر نسبة إلى القبيلة المعروفة بالمغرب من قبل أبيه الحسني نسبة إلى الحسن أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنهما من قبل أمه، وقد أخذ الإمام السنوسي القراءات السبع عن أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني. وقد أخذ عن السنوسي، إبراهيم التازي نزيل وهران، ألبسه الخرقة و روى عنه أشياء كثيرة . و قد جمع تلميذ السنوسي أبو عبد الله الملالي في أحواله و سيره وفوائده تأليفا كبيرا فيه نحو ستة عشر كراسا سماه بالمواهب القدسية في المناقب السنوسية .قال فأما علومه الظاهرة فله فيها أوفر نصيب و جمع من فروعها وأصولها السهم ... لا يتحدث في علم إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره لاسيما علم التوحيد والمعقول، شارك غيره في العلوم الظاهرة و انفرد بالعلوم الباطنة.

ضريح السنوسي

ندخل إلى ضريح الشيخ السنوسي (انظر الشكل) بواسطة مدخل معقود بعقد حذوي مفتوح بالجدار الشمالي للضريح ويقدر عرضه ب 91 سم وعلوه ب 180سم وعقد المدخل خال من الزخارف ولعل إرتفاع الباب البسيط والذي يوجب على الداخل إلى الضريح الانحناء، دافع قوي للاضفاء من الاحترام و إجبار الزائر على تقدير الولي وقد كان الباب المؤدي إلى المدخل بابا خشبيا حسب ما يروي زوار الضريح في الماضي إلا أن ما لاحظناه هو عبارة عن باب حديدي حديث الصنع وهو باب ذو مصراعين خال من الزخارف .حينما ندخل إلى داخل الضريح نجد أربعة حنيات جدارية يبلغ طولها 3.85م وعرضها 2.85م وعمقها 20سم ويزين كل واحدة منها عقد مدبب ويوجد بالحنية الجنوبية الشرقية ثلاث فتحات : خزانة ، نافذة و فتحة للتهوئة والإضاءة.

- الخزانة عبارة عن تجويف مستطيل الشكل، (74 × 67 سم) و بها باب خشبي ذو مصراعين وهي في متناول يد الزوار وإن كنا نجهل الغرض من وجودها في حين توجد خزانتين في الحنيتين الجداريتين الأخرتين.

– أما النافذة فإنها تتوسط العقد وتعلو الخزانة وينفرد بها الجدار الغربي الشمالي وذلك لشكلها الشبه المنحرف إذ في قاعدته السفلى 68 سم أما قاعدته العليا فهي على هيئة عقد منحن ويظهر التأثير العثماني وأغلب الظن أنها كانت تستعمل لحفظ الكتب.

– تعلوالفتحة النافذة وهي مستطيلة الشكل (45×67 سم) وبها باب خشبي يمكن فتحه وغلقه.

وعلى مستوى منطقة انتقال القبة نجد ثلاث فتحات تعمل على تهوئة الضريح، كما يتمكن بواسطتها دخان الشموع و البخور الخروج من الضريح، ويتم الانتقال من المربع إلى المضلع بواسطة أربع حنايا ركنية على شكل نصف قبو، وتعلو الضريح قبة نصف كروية تحتوي على 12 ردفا، تبلغ مساحة قاعدتها حوالي 2.16 م يغطيها من الخارج سقف هرمي الشكل يبلغ طول ضلع القاعدة المربعة للهرم سبعة أمتار أما ارتفاع الهرم فيصل إلى الثلاثة أمتار و نجد القبة من الخارج مكسوة بالقرميد الأخضر تنتهي بقضيب معدني تعلوه تفاحة و هلال نحاسيان(أنظر اللوحة).

ضريح ابن مرزوق الحفيد

حياته : هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني الإمام المشهور و الحجة الحافظ التقي الصالح الزاهد الورع، قال عنه تلميذه أبو الفرج ابن أبي يحيى الشريف التلمساني: "هو شيخنا الإمام العالم العلم جامع أشتات العلوم الشرعية و العقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم، رافع لواء الإمامة بين الأمم ... ذو الرواية والدراية والعناية ملازما للكتب و السنة على نهج الأئمة المحفوظين من البدع. توفي الشيخ بن مرزوق الحفيد، يوم الخميس رابع عشر شعبان عام 842 اثنين وأربعين وثمانمائة ودفن يوم الجمعة بالجامع الأعظم من تلمسان رحمه الله وقد أنشأ يغمراسن الضريح الذي دفن فيه بوقت قصير بعد وفاة محمد ابن مرزوق.

ضريح الحفيد ابن مرزوق:

يقع ضريح ابن مرزوق الحفيد في الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأعظم بتلمسان، وقد أنشأ يغمراسن ابن زيان الضريح الذي دفن فيه محمد بن مرزوق، عند ما كان يوسّع المسجد و أنشأ المنارة ". (أنظر الشكل)

وقد وجدنا بالمتحف البلدي لتلمسان شاهدة جلبت من ضريح ابن مرزوق الحفيد وبها الكتابة الآتية:

شاهدة قبر محمد بن مرزوق.

بها سبعة أسطر من الحجر الرّملي، و كتابة مغربية و في شوكتي الشاهد زخرفة نباتية عبارة عن مراوح نخيلة.

الحمد لله هذا قبر الشاب الأسعد أحمد بن الفقيه العالم الشيخ.

محمد بن مرزوق توفي رحمه الله أول محرم سنة ألف ماية و خمسة.

يحتوي الضريح على قسمين: الأول ندخل إليه بواسطة الباب الموجود على يسار مدخل الجامع الأعظم، يلغ طوله 1,10 م و عرضه 80 سم معقود بعقد مذبب لنجد فناء وهو عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل طولها 2,62م و عرضها 1,44م، وهي غير مغطاة بها شجرتان أولاها شجرة ليمون و الثانية شجرة فاكهة (أنظر اللوحة).

ندخل إلى قاعة الضريح بواسطة باب عادي غير معقود يبلغ طوله 1,70م وعرضه 90 سم لنجد بالضريح جزآن الجزء الأول على يسار المدخل، وهو قاعة الدّفن و الجزء على اليمين عبارة عن ممر يخرج من خلال باب آخر إلى جزء من أجزاء المسجد الأعظم.

أمّا على اليسار فنجد ثلاث حنيات جدارية، الأولى تعلو الباب المؤدي إلى قاعة الدفن ويبلغ علوها 2,00 وعرضها 2,30 وعمقها 0,25 سم، الحنية الثانية الموجودة على يمين المدخل والتي تتواجد ضمنها شواهد قبر ابن مرزوق يبلغ طولها 2,25م وعرضها 2,00م، وعمقها 0,25 سم.

الجدار الأيسر للمدخل به حنيتان جداريتان الحنية الكبرى يبلغ طولها 2,25م وعرضها 2,32م، أمّا الحنية الصغرى فيبلغ طولها 2,00 وعرضها 1,47 م. وهتان الحنيتان موجودتان ضمن الجدار الخارجي المطل على القاعة

المكشوفة للضريح. ومع أن الجدار المقابل للمدخل لا يحمل حنايا ركنية إلاّ أنه خارج الضريح يمكننا أن نرى حنية جدارية.

كلّ الحنيات معقودة بعقد مذبب، و بها نوافذ فعلى يسار المدخل نجد نافذة يبلغ طولها 40 سم و عرضها 20 سم، معقودة بعقد نصف دائري وفي أسفلها نافذة كبيرة فتحت لإدخال الضوء و الهواء،و بالجدار المقابل للمدخل نجد نافذتان مفتوحتان لإدخال الضوء ،و الهواء و أخيرا بالجدار الأيمن للضريح نجد نافذة تحتل وسط الحنية يبلغ طولها 76 سم و عرضها 34 سم. وهي معقودة بعقد نصف دائري و تعلوها نافذة مغلقة.

- على يسار المدخل و في إتجاه القبلة نجد محرابا معقود بعقد مذبب والمحراب خال من أية زخرفة و بسيط.

يتم الانتقال في الضريح من المربع إلى المضلّع، بواسطة حنايا ركينة على شكل نصف قبو متقاطع و يتخالف عن تعارض ضلوعها جوفات مثلثة، ترتكز القبة ذات 8 أضلاع على أسطوان مربع يبلغ طوله 1,20 م أما ارتفاع القبة و 1,80 م و تظهر القبة من الخارج ذات 8 أرداف. (أنظر اللوحة)

وتحتل شوكتي شواهد قبر ابن مرزوق محارة ذات 8 باتلات و بها الكتابة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم:

صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه و سلّم تسليما "

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴿١٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ " [1].

1- الآيات 106، 107، 108، 109، 110، من سورة الكهف.

الحمد لله هذا قبر محمد ابن مرزوق العجيسي رحمه الله تعالى برحمته ورحم الزائرين	توفي ليلة الجمعة الخامس عشر من شهر شعبان المعظم عام إثنين وأربعين و ثمانمئة هجرية عن قضاء الله تعالى خيره و بركته سنة 842 ه رحمه الله ورحم من رفق عليه و دعا له .	والصلاة و السلام على محمد من حلّل الأرض في عصر ركائز الرسائل على الإطلاق هو إبن مرزوق وجيل العلى علامنا توفي بالإطباق رضي الله عنه و نفع به.

كما وجدنا نافذة مغلقة بالضريح وهي على هيئة خزانة، تظهر حديثة العهد، بها مجموعة من الكتب، و فوقها إطار خشبي به زخرفة ويحمل العبارة التالية.

ولا غالب إلاّ الله: بسم الله الرحمن الرحيم : "وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾".

– لا توجد أية زخرفة جصيّة أو هندسية ضمن جدران الضريح، وهذا النموذج من الأضرحة غريب الشكل عن ما سارت عليه العادة في الأضرحة، إذ أنّ قاعة الضريح تظهر على هيئة قاعة جلوس عادية و هي تستعمل لذكر الله.

ضريح سيدي الحلوي

حياته:

عرف باسم إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين وسيد الصالحين، نزيل تلمسان وهو من أكابر العلماء العباد العارفين بالله.

ولعل لقب "الحلوي" قد اتصل به فيما بعد حينما قدم إلى تلمسان، فاسمه الحقيق أبو عبد الله الشوذي، وقد كان أندلسيا قحا من اشبيلية، ومع أننا لا نعلم الكثير عن طفولته وشبابه ولا حتى عن بداياته الأولى في هذا العالم، إلا أننا يمكن أن نلاحظ أنه درس وأنه كان أستاذا في العلوم القرآنية.

ويجمع المؤرخون على أن الولي "الشوذي" كان قاضيا بإشبيلية، أين نشأ ولعل هذه المهنة تدل على درايته المتينة في علم التشريع. لقد كان أبو عبد الله الشوذي متمكنا في العلوم التشريعية، وحينما كان يسترسل في حديثه عن العقيدة وحول أصولها وأسررها، يبهر سامعيه إذ كيف لهذا الرجل البسيط في نظرهم،

المتسول التائه أن يلم بكل هذه المعارف الواسعة والعميقة، لقد كان من عباد الله الذين اختارهم ومن علمهم بعلمه في الأرض.

ضريحه

يقع ضريح سيدي الحلوي شمال شرق تلمسان، وهو يعلو مسجد سيدي الحلوي، يقع الضريح في الأعلى على بعد نحو 100م عن المسجد الذي ينتصب في أسفل الهضبة يتواجد المدخل في الجهة الشمالية، وهو عبارة عن باب يبلغ عرضه 85 سم مطلي باللون الأخضر الداكن يعلوه عقد نصف دائري. والضريح عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل طولها 3,70م وعرضها 2,05م، يعلوها قرميد على شكل هرمي بسيط لونه بني، (أنظر الشكل واللوحة) وبالغرفة ثلاثة كوات جدارية، الأولى الموجودة بجدار القبلة يبلغ عرضها 55سم وعمقها 35سم، والثانية بالجدار الجنوبي الغربي فعرضها 45سم وعمقها 32سم، في حين تقع الأخيرة في الجدار الشمالي يبلغ عرضها 25سم وعمقها35 سم، (أنظر الشكل رقم 17). ندخل إلى الضريح لنجد تابوتا خشبي تآكل بفعل عوامل الطبيعة مغطى بلواء أخضر، يبين المكان الذي يرقد فيه جثمان الولي الحلوي، لا توجد في الضريح أية كتابة تدل على تاريخ الإنشاء ولكننا نعلم أنه أنشأ بعد قتل الولي الحلوي وقد كان ذلك في عام 705هـ/ 1305م. يوجد على يسار المدخل محراب مضلع وهو عبارة عن فتحة يبلغ عرضها 88سم يعلوها عقد حذوي يكتنفها في الجانبين عمودان صغيران، كما يبرز المحراب نحو الخارج بـ 45سم ، يغطي الضريح سقف خشبي من الداخل، وهو لا يكاد يكون ملفتا للنظر وهذا السقف على غرار الضريح قد تصدع بفعل الرطوبة فتآكلت عناصره ،ونلاحظ غياب النوافذ وبالتالي غياب الإضاءة والتهوية، وهذا كان سببا في تأثره بعوامل كثيرة حتى أصبح في حالة يرثى لها. أما الجدران فغاية في البساطة وخالية من الزخارف.

وحينما نخرج من الضريح نجد منصة أرضية، نطل من خلالها على المسجد الرائع الذي يجلب الانتباه والزوار.

ومن الواجب أن نشير إلى أن إهمال الضريح، من طرف الهيئات المختصة جعله قبلة لعناصر السوء التي لم تحترم قدسية المكان، وقد أدى ذلك إلى غلقه ومنع زيارته، فهل هذا هو الحل الأمثل لمواجهة هذه الظاهرة؟

كما أن موقع الضريح ضمن كتلة هائلة من الأشجار والأشواك، يكاد يحجبه عن الأنظار، وقد أصبح من الضروري الانتباه إلى هذا الضريح الذي لو بقي على هته الحال لتصدع أكثر، إذ أن حتى الممر المؤدي إليه يكاد لا يكون ظاهرا وهو طريق غير معبد، شائك تشوبه الأحجار والأشواك.

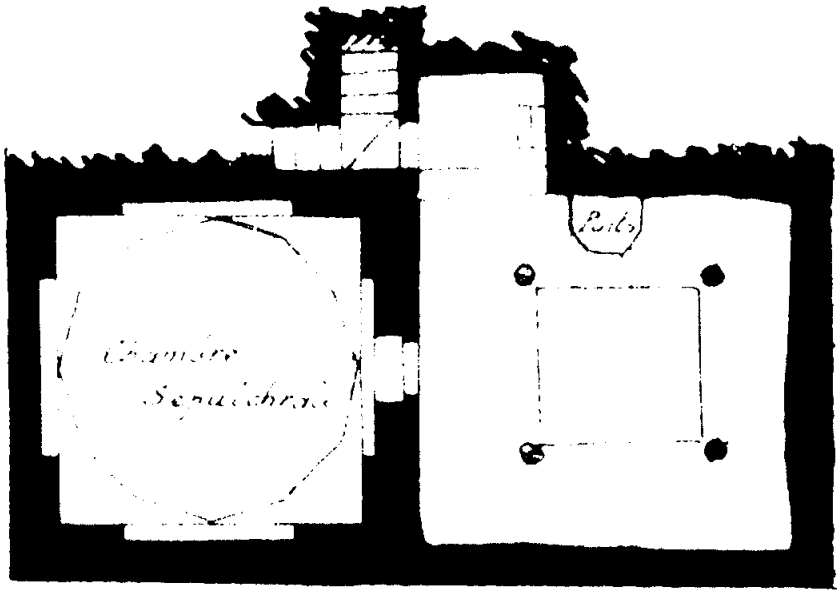

ضريح سيدي أبي مدين

(William et Georges Marçais : Les monuments..., P231)

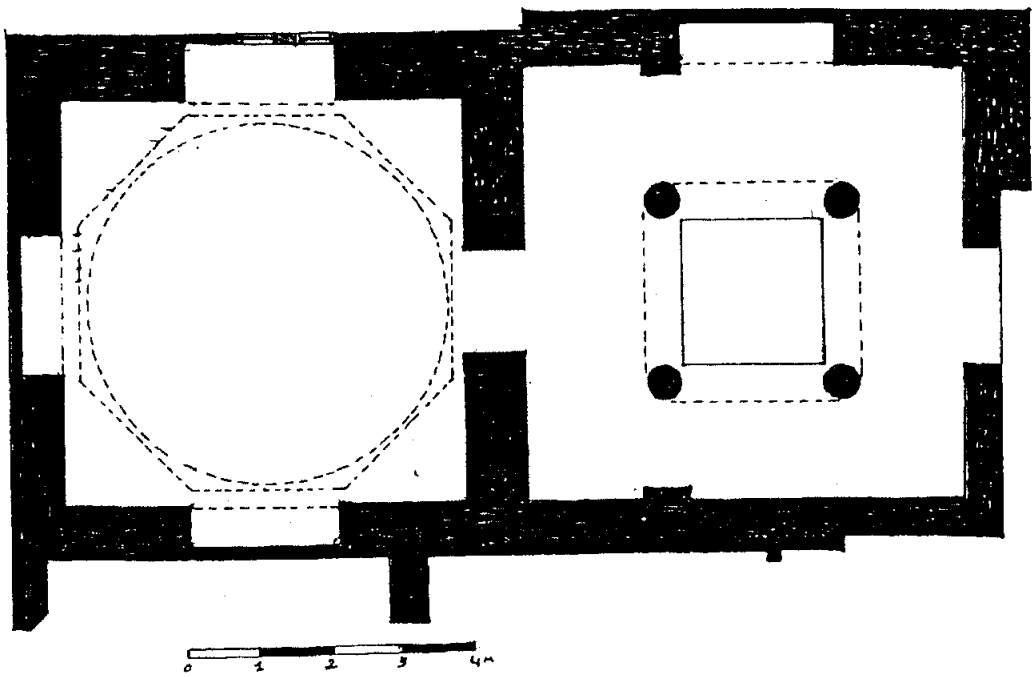

مخطط ضريح سيدي إبراهيم المصمودي

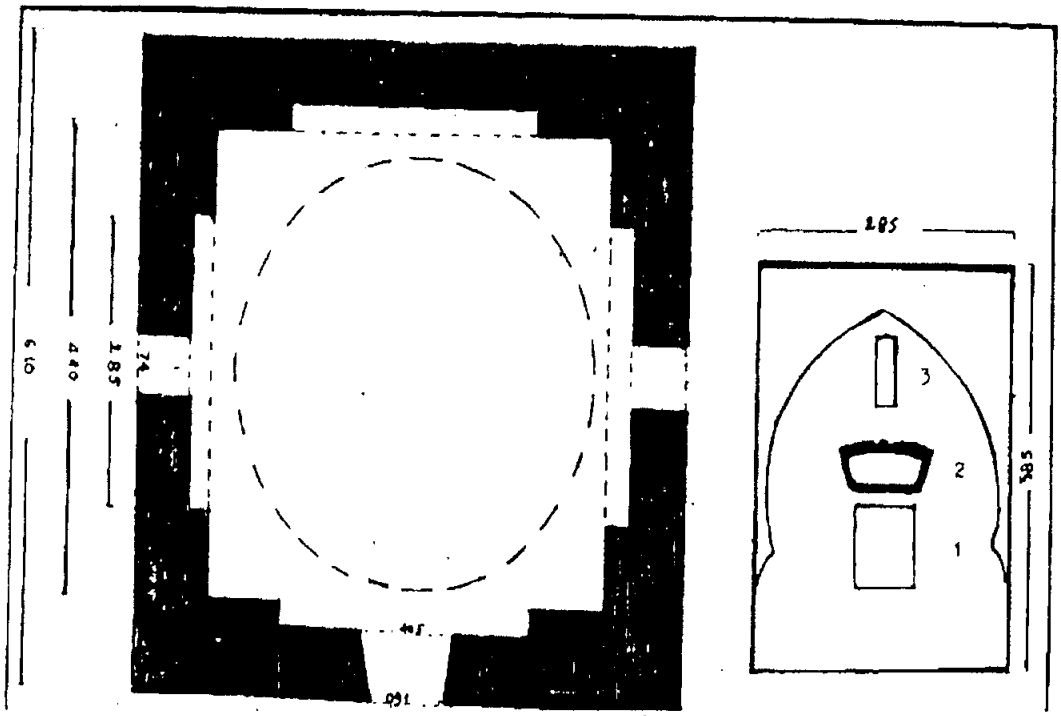

مخطط أفقي لضريح السنوسي

جمال الدين بوقلى حسن: ابن يوسف ... ص26)

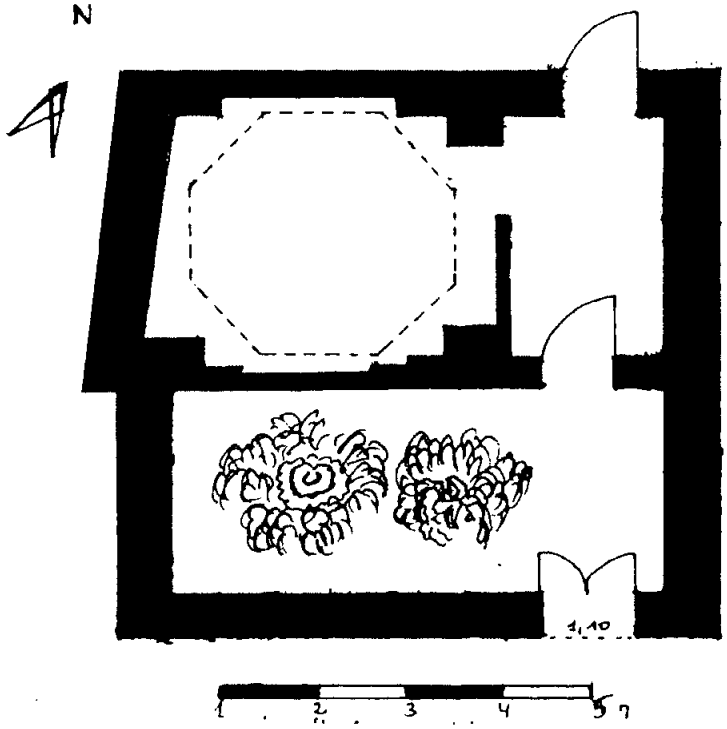

مخطط أفقي لضريح ابن مرزوق الحفيد

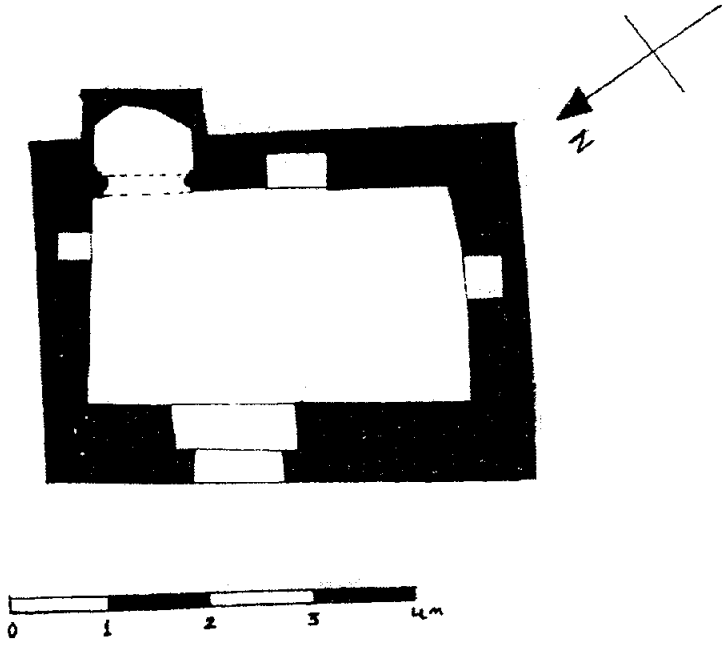

مخطط أفقي لضريح سيدي الحلوي

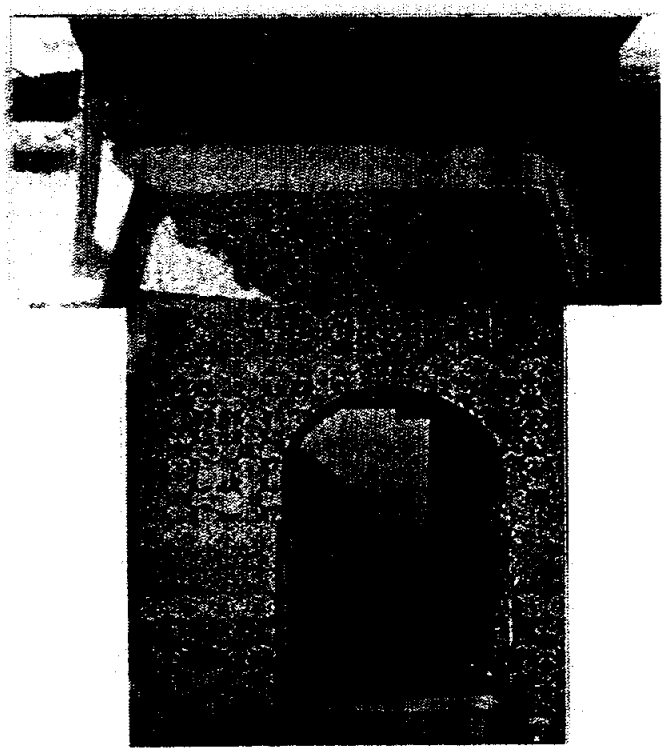

مدخل ضريح سيدي أبي مدين

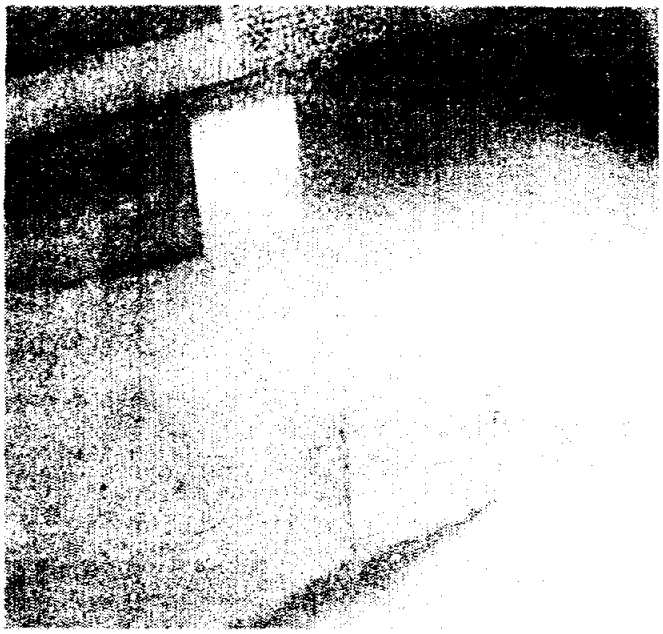

ضريح سيدي إبراهيم المصمودي

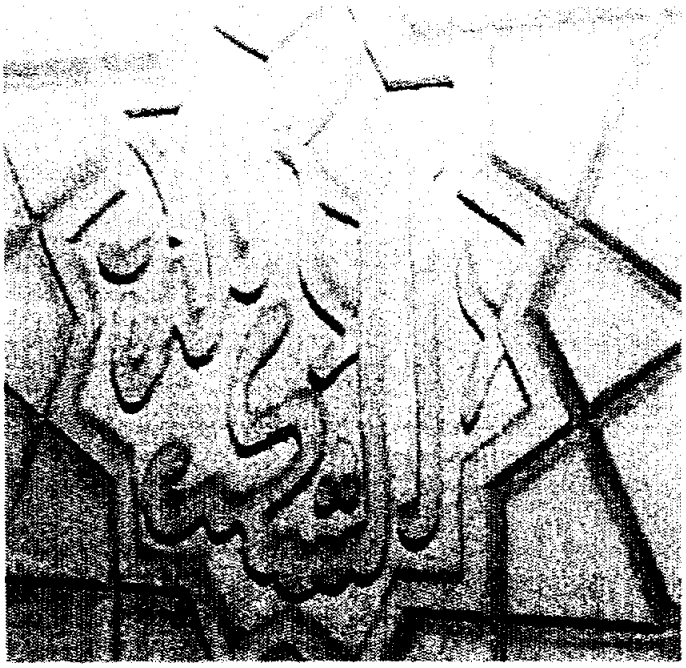

نموذج من الزخرفة الكتابية على الجص لصيغة "الشكر لله"
بضريح سيدي إبراهيم المصمودي

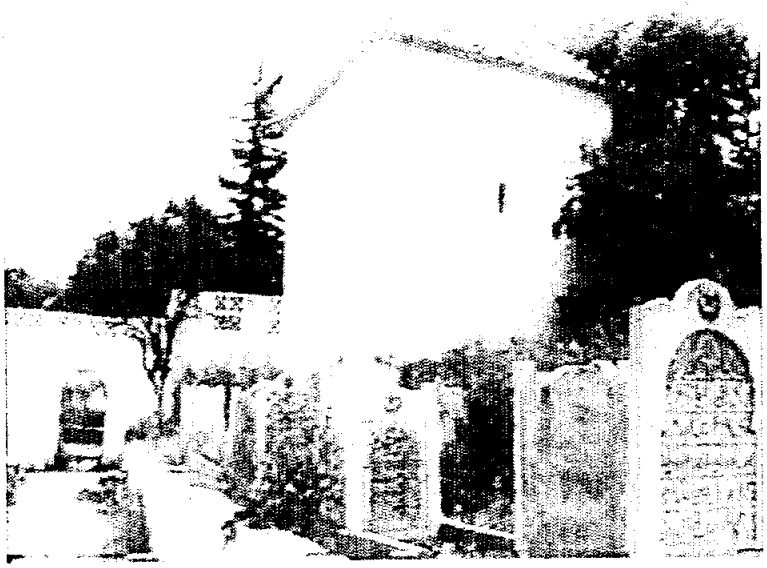

منظر خارجي لضريح الشيخ السنوسي

منظر خارجي لضريح الحفيد ابن مرزوق

منظر خارجي جانبي لضريح سيدي الحلوي